mütefekkir
AKSARAY ÜNİVERSİTESİ İSLAMİ İLİMLER FAKÜLTESİ DERGİSİ
Cilt:4 • Sayı:8 • Aralık • 2017 • s. 443-456

ARAŞTIRMA

إيجابية الفلسفة في ضوء رسائل النور

*Duaa NASSAR**

الملخص

تشكّل هذه الدراسة، محاولة فضولية للكشف عن إمكانية أن تكون الفلسفة إيجابية من خلال رسائل النور والتي كتبها سعيد النورسي (١٨٧٦-١٩٦٠)، علماً أن تلك الرسائل حاولت أن تحمش الفلسفة وتبقيها ضمن التصنيف السلبي، لذلك قامت هذه الدراسة بالبحث عن المواطن التي تُظهر فيها الرسائل الفلسفة بشكل إيجابي، من خلال التدرج بالبحث في علاقة الفلسفة والحكمة، تشجيع رسائل النور على العقل ، وعلاقة العقل والنقل. وبالنتيجة أظهرت الدراسة إمكانية وجود فلسفة الأخلاق كنموذج للفلسفة التي لايمكن أن يتم إنكارها من قبل الشريعة الإسلامية والواقع الإنساني، ذلك لبيان أن نقد رسائل النور للفلسفة ليس كلياً، وأنه هناك قدرة على إستخلاص إيجابيتها، على الرغم من الإنتقادات المنتظمة حولها.

الكلمات المفتاحية: ا إيجابية الفلسفة ، رسائل النور، الفلسفة والحكمة، فلسفة الأخلاق.

Positive Philosophy in the View of Risale-i Nur

Abstract

This study try to discover the positive philosophy in al Nour Letters which created by Saeed al Noursi. Although these letters tried to ignore the philosophy and to stay that in a negative way, So this study start to find the positive points which show the bright side in philosophy; through following the relation between the philosophy and wisdom, encouraging mind, and the relation between the mind and Quran text. finally this study tried to show the possibility of the philosophy of ethics as a form of philosophy which cannot be rejected from the Islamic law or the human reality, to show that criticism of the Al Nour letters of philosophy is not entirely and there is ability to find

* Yüksek Lisans Öğrencisi, Ürdün Üniversitesi, Edebiyat Fakültesi, Felsefe Bölümü, duaanassar8@gmail.com, ORCID iD: https://orcid.org/0000-0002-5293-6789.

Gönderim Tarihi/Received: 15.09.2017 Kabul Tarihi/Accepted: 08.11.2017

the positivity despite the criticism around it.

Keywords: Positive Philosophy, Al Nour Letters, The Philosophy and Wisdom, The Philosophy of Ethics.

المقدمة

شكلّت رسائل النور حضوراً فكرياً ومعرفياً اعتمد كمنهجية لجملة وافية من المهتمين، حيث عكست توجه مؤسسها **سعيد النورسي**[1] مما جعل هناك استقطاب كبير حولها للبحث والكشف عن ماهيتها، فقد طرحت الرسائل الكثير من الآراء التي تؤيد أولوية الشريعة الإسلامية لتكون مرجعية ثابتة وكافية للقضايا والتصورات الإنسانية الحادثة، لذلك كان البحث في تصور الرسائل للفلسفة مهماً، لإصابة الحكم الإيجابي عليها، حيث إن ما يحضر وللوهلة الأولى أنه تم إنكار الفلسفة بلغة واضحة لذلك كان لابد من تحليلها لبيان ما إذا كانت ترفض الفلسفة بحق، من خلال استخلاص موقفها من الفلسفة وهل نقد الفلسفة من قبلها يتخذ معنى النفي والتهميش أم هو نقد بناء لصالح المعرفة والإنسان؟

ونتيجة لذلك بنى سعيد النورسي منهجه المنتظم تدريجياً حيث قدم صياغة واضحة للفلسفة ومعناها وأقسامها، ومما يجدر الإشارة إليه أنه شكّل ثنائيات متعددة في رسائله ومن ضمنها ثنائية الفلسفة الضارة والفلسفة النافعة وهذا التقسيم الثنائي كان لهدف التوضيح الدقيق لمفهوم الفلسفة بوصفها ليست مرفوضة كلها، وإنما كانت لديه رؤية توضيحية للجزئية المرفوضة منها فإن هذا السعي من قبله كان بناء على فكرة البحث عن الحقيقة؛ التي تقوم على الإيمان بالله من خلال الحكمة المتأتية من القرآن الكريم.

لذا يهدف هذا البحث إلى الإجابة على تساؤل يتعلق بكيفية تشكل ملامح الفلسفة الإيجابية في الرسائل سواء في تعريف الفلسفة كمفهوم أو في بيان المنهج والطريقة التي قدمت من خلالها الرسائل الإسلام إلى الغرب، وهل أنتج النورسي من خلال بناءه رسائل النور أفكار فلسفية جديدة دون قصد ذلك؟ بمعنى هل من الممكن أن يكون نقده للفلسفة يشكل ممارسة فلسفية منطقية؟ لذا سوف يركز البحث على عدة محاور تتفق و أهدافه، كما سيعتمد البحث المنهج التحليلي والنقدي لإصابة أهم الأفكار التي تستوفي شروطه.

المبحث الأول : تعريف رسائل النور للفلسفة:

يعتبر إحصاء تعريف واحد للفلسفة عملية شاقة بذاتها، فعبر تاريخ الفكر الفلسفي لم يتم تحديد تعريف واحد لها من ناحية الإستناد على التعريف الكلاسيكي حب الحكمة أو معرفة المبادئ الأولى، فقد تواتر تعريف الفلسفة لتجسد تمثلاً في الفهم حسب المذاهب التي ظهرت من خلالها.

[1] سعيد النورسي (١٨٧٦-١٩٦٠): المعروف ببديع الزمان النورسي هو عالم مسلم كردي من عشيرة أسباريت وهو أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والإجتماعي في عصره وقد كتب رسائل النور في فترة التي قضاها ما بين النفي والسجن، حيث عمل من خلالها على تعزيز مرجعية القرآن الكريم كمصدر قوي لتنظيم شؤون الحياة بكل مكوناتها، أنظر: النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، تقديم: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٠.

ظهرت الفلسفة كسؤال مهيأ حول أصل الوجود ليتمثل في الإنسان عبر السؤال الأخلاقي والجمالي، وما لبثت وتماشت مع صيرورة التاريخ لتكتسب في كل مرة أطرا جديدة، ومجابهات مع تيارات معرفية وعلمية، من ناحية أخرى ظهرت الفلسفة كمحايثة للعلم والفن فالفلسفة تحتاج إلى لا فلسفة تفهمها، تحتاج إلى فهم لافلسفي، كما يحتاج الفن إلى لافن، والعلم إلى لا علم.[٢]

تتدخل الفلسفة لتساهم باكتشاف المفاهيم التي قد تحاذي أو تناظر الدلالات الرياضية لكنها تفتح لها آفاقاً أخرى لا يمكنها ترميزها بلغتها الرياضية وحدها وهو أمر أثبته العلم المعاصر في خطواته نحو اللانهايات، التي تعيد وحدة الفكر ما بين المفاهيم الفلسفية الكونية، والترميزات الرياضية.[٣]

وفي سياق مشروع رسائل النور لم تعرّف الفلسفة عند سعيد النورسي بشكل كلّي وتمامي وإنما تم تعريفها من خلال ظروف وجودها في العصر الحديث وبشكل ظهورها فيه، حيث واجه العالم الإسلامي في العصر الحديث دفعة تغييرية ظهر تأثيرها بإشاعة الفلسفات المادية نتيجة للصراع العنيف بين المؤسسات اللاهوتية ومحاولات العقول النيرة اقتحام قوانين المادة والكشف عن أسرارها.[٤]

يعتبر استخلاص مفهوم واضح للفلسفة من الرسائل صعباً نوعاً ما، إذ عدم الوضوح هذا جعل من الفلسفة مفهومة ضمن نطاقين، تبعاً لما هو مقبول منها وما هو مرفوض، حيث تضمنت رسائل النور مقارنة لكل من الفلسفة القديمة بالنسبة للفلسفة الحاضرة في زمن الرسائل ، حيث إن التأطير التاريخي في هذا السياق دلل على الوعي بإتصال تعريف المفهوم بما يعبّر عن حالة زمانه وظرفه حيث بيَّن بديع الزمان التفرقة من خلال قوله:

"نعم! إن الحكمة القديمة (الفلسفة القديمة) خيرها قليل، خرافاتها كثيرة ، حتى نهى السلف – إلى حد ما – عنها حيث الأذهان كانت غير مستعدة والأفكار غير مقيدة بالتقليد ، والجهل مستول على العوام."[٥]

في هذا الوصف يبيّن سعيد النورسي "قيمة" الفلسفة القديمة من وجهة انعكاسها على الواقع إلا أنه ما لبث وصاغ وصفاً مقابلاً للفلسفة حيث عبّر عنها "بينما الفلسفة الحاضرة فخيرها كثير من جهة المادة – بالنسبة للفلسفة القديمة، وكذبها وباطلها قليل، والأفكار حرة في الوقت الحاضر، والمعرفة مسيطرة على الجميع، وفي الحقيقة لابد أن يكون لكل زمان حكمه."[٦]

أحدث دخول الفلسفة في ملامح العصر الحديث آثاراً ونتائجاً معادية للدين في الضمير الجمعي للمجتمع الإسلامي فكانت بمثابة الهجمة التي قولبت المعاني الإنسانية والأخلاقية اتجاه سياق أوسع تناقضاً مع القواعد الإيمانية وبهذا المحل وجدت الفلسفة أحد الأسباب التي اجتمعت مع الظروف الحضارية والتاريخية الحادثة تشكل عداءً واضحاً مع الدين والمنظومة الإجتماعية والأخلاقية والسياسية.

---

٢ أنظر: دولوز، جيل و غيتاري، فيليكس، ما هي الفلسفة ، ترجمة مطاع الصفدي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧، ص.٢٢٢.

٣ أنظر: دولوز وغيتاري، ماهي الفلسفة، ترجمة مطاع الصفدي، ص ٢٠.

٤ أنظر: عبد الحميد، عبد المحسن، النورسي متكلم العصر الحديث، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ١٩٩٧، ص ٦٢.

٥ النورسي، سعيد، صيقل الإسلام، إعداد وتقديم، إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٢، ص ٤١.

٦ النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٠.

ومع هذا التغير الحضاري والطروحات الفلسفية الداخلية التي خلقت أزمة فكرية وواقعية، كان لابد من المجابهة معها من قبل منتجات الحضارة الإسلامية فالمجابهة التي حضرت في ذلك الوقت كانت فكرة منتظمة ومتسقة فالغزو الحضاري الشامل على الإسلام والمسلمين لابد من أن يواجه منهج إسلامي شامل ومتوازن.[٧] لعبت رسائل النور دور المجابهة من خلال تقسيم الفلسفة إلى ثنائية المرفوض والمقبول منها وتوضح ذلك من خلال الإشارة الصريحة إليها "إن الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها صفعة قوية هي الفلسفة الضارة وحدها وليست الفلسفة على الإطلاق، لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الإجتماعية البشرية وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد السبل للرقي الصناعي هي في وفاق مع القرآن الكريم بل هي خادمة لحكمة القرآن ولا تعارضها أما القسم الثاني من الفلسفة فكما أصبح وسيلة للتردي والإلحاد والسقوط في المجتمع الآسن للفلسفة الطبيعية فإنه يسوق الإنسان إلى الغفلة والضلالة بالسفاهة واللهو وحيث أنه يعارض بخوارقه التي هي كالسحر الحقائق المعجزة للقرآن الكريم."[٨]

العلاقة ما بين الفلسفة والحكمة

وضع سعيد النورسي تصوراً للعلاقة ما بين الفلسفة والحكمة، وقد تأصل دور تشكيل هذه العلاقة من خلال إشتغال النورسي(سعيد القديم) بالفلسفة حيث أيّد علاقة الفلسفة والحكمة، و يدلل على ذلك من خلال قيامه بجمع التصاحب ما بينهما كما تم التدليل على ذلك من خلال "معنى أن الفلسفة والحكمة، ولو أنهما تعبّران عن حقيقة واحدة، تبقيان مستقلتين إحداهما عن الأخرى، إذ تكون لكل واحدة منهما لغتها وجمهورها ومنهجيتها ومقصديتها الخاصة، فتكون العلاقة بينهما علاقة تساوق وترافق أشبه بترافق الصديقتَين."[٩]

وتجدر الإشارة إلى تشكيل النورسي لموقفه من تلك العلاقة على أنها علاقة وصل بالإعتماد على إشتغاله بالفلسفة في الفترة التي سبقت الفترة الإنقلابية التي تجاوز من خلالها متعلقاته المعرفية بما لا يخدم الإيمان والإسلام في حين أن رسائل النور كانت مثالاً دقيقاً للبرهنة على ما بناه النورسي من مفاهيم ومحاكمات عقلية وإستدلالات على طروحاته الإعتقادية والمنطقية وإن تحديد العلاقة ما بين الفلسفة والحكمة كانت إنطلاقة مهمة لمشروعه الشامل حيث أتم الفصل بينهما بناءً على إعتبارات التعريف والتحقق وقد أنكر النورسي موقفه الفلسفي وعبّر عنه "فما كان من" سعيد الجديد "إلا القيام بتمخيض فكره والعمل على نقضه من أدران الفلسفة المزخرفة ولوثات الحضارة السفيهة."[١٠]

هذا التوضيح حول العلاقة ما بين الحكمة والفلسفة، كان محاولة لبيان اثبات اتفاق الحكمة بمقتضياتها وشروطها مع الفلسفة ومبادئها فالحكمة متمثلة بالقرآن الكريم، وليست متفردة في الفلسفة من خلال اعتماد مبادئ الحكمة التي تحققت في القرآن الكريم والتي أدت إلى تأطير الفلسفة ضمن إطار يحدد نقاط قيمتها وتأثيرها، فهذا التحديد يُظهر إيجابية الفلسفة في علاقتها بالحكمة، حيث يبرز الفصل بينهما شكل بنائي لحضور الفلسفة إلى تجلي الحكمة من خلال القرآن الكريم الذي يجعل من الفلسفة النافعة والإيجابية قوية بقوة حكمة القرآن بل وتجعل من جوهر الإيمان أكثر ترسيخاً.

---

[٧] أنظر: النورسي، صيقل الإسلام، ص٧٥.

[٨] النورسي، سعيد، الملاحق – ملحق أميرداغ، إعداد وتقديم إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ١٩٩٩، ص ٢٨٦.

[٩] عبد الرحمن، طه، فصل المقال مابين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الإنفصال عند الحكيم بديع الزمان، مجلة حراء العدد ٣، ٢٠٠٦، ص ٥٩.

[١٠] النورسي، سعيد، اللمعات، إعداد وتقديم إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٣، ص ١٧٦.

المبحث الثاني: تشجيع رسائل النور على العقل

إن التحول الفكري الذي مر به النورسي بشكّل دلالة على موقف الذات إتجاه الوجود، ومحاولاتها طرح الأسئلة وتعقل الممكنات والبحث في الإشكاليات، ومن خلال الاطوار الفكرية التي مر بها في حياته وجد مشجعاً للعقل من خلال الرسائل حيث كان التشجيع دقيقاً حيث قال "التفكر كالعشق إلا أنه اغنى منه واسطع نوراً وارحب سبيلا إذ هو يوصل السالك إلى إسم الله الحكيم"[١١] ويظهر هذا التشجيع من خلال عدة سياقات:

أولاً: مساحة تعريفات رسائل النور للعقل

ظهرت تعريفات العقل وتوضيح وظائفه فمثلاً ومن خلال التدليل القرآني على المعجزات وجد تعريف العقل بوصفه متبعاً لإرادة الإنسان بوصفه آلة، حيث يظهر هذا الوصف من خلال إستخدامه بما ويحقق قيمة الماهية الإنسانية في الإختيار الذي يكمن فيه سر التكليف الإلهي وبهذا السياق يوضع العقل في قطبين إما أن يكون آلة نافعة أو ضارة فإن كان إستخدامه بما ويحقق السعادة الإنسانية انسجم بذلك مع الإنسان وإلا كان آلة تحدث أثر نفسي وضار.[١٢]

وفي ملمح فلسفي متأصل، وجد مفهوم العقل كآلة إعتماداً على إستخدام المنطق كما عُرّف المنطق على لسان الفيلسوف الإغريقي أرسطو طاليس الأورغانون "الآلة" التي يتم بها القياس إعتماداً على إستدلال القضايا الصحيحة والخاطئة، وصادق النورسي على هذه الفكرة قائلاً : "إعلم أن المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، لابد لمن يبتدئ بشيء من العلوم."[١٣]

فالقياس المنطقي من أسس وظائف العقل في المعرفة حيث تنسجم الممارسة المنطقية مع فعل التفكر، فالعقل يقوم بوظيفته التي وكّل إليها بتوجيه من الذات التي تحاول أن تثير الأسئلة وتطرح المشكلات، وفي علاقة العقل الآلي مع الإيمان، فإن توجيه الذات للعقل إتجاه خدمة الإيمان، هو العقل النافع، والذي لايقتصر على النظر والتفكر وحسب وإنما على منهجة وتقسيم المفاهيم، ليخضع بذلك لمسؤولية التقييم "وحقيقة إرتقاء العقل لا تكون إلا بأخذه بالإيمان وبالقيم الأخلاقية، وإلا استحال أمر تحكيمه منفرداً إلى ضرب من التأليه الذي يؤدي بالحياة الإنسانية إلى أتون الفوضى والإقتتال."[١٤]

وإن رسائل النور وضحت آفاق العقل وآليته ووظيفته التي تخدم الإنسان معرفياً، وإجتماعياً وأخلاقياً حيث بيّن النورسي حدود العقل وإمكانيته من خلال أثره على الذات في قلة تعاطيها مع محاولات البحث عن الحقيقة وأن هذا التوضيح ظهر كتهيئة لمشروع بديع الزمان في المعرفة، فرسائل النور شكلت موقفاً معرفياً اتجاه الوجود، ويمكن الحكم على هذه الممارسة الفلسفية بأنها قد أصابت منهجاً شاملاً للمعرفة، وبمخاطبة الذات لا توجد تلك الحدود بين الحس والعقل والحدس، التي تشكل كلاً واحداً في الجزيئات الدقيقة في المعرفة الكونية.[١٥]

---

[١١] النورسي، سعيد، الكلمات، إعداد وتقديم إحسان قاسم الصالحي القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٠، ص ٥٥٨.

[١٢] أنظر: مقبول، إدريس، العقل المؤيد للإيمان عند الإمام النورسي أو اتصال الآيات والقيم، مجلة النور للدراسات الفكرية، العدد ٩، ٢٠١٤، ص ٧.

[١٣] النورسي، صيقل الإسلام، ص ٢٤٣.

[١٤] مقبول، إدريس، العقل المؤيد بالإيمان عند الإمام النورسي أو اتصال الآيات والقيم، ص ١٢.

[١٥] أنظر: محسن، عبد الحميد، من معالم التجديد عند النورسي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ص ٣٥.

ثانياً: علاقة العقل بالنقل

عبر تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي وجدت علاقة العقل بالنقل كقضية واسعة احتملت كثيراً من الصياغات والنقاشات التي حاولت ان تضع قاعدة تبني من خلالها هذه العلاقة، حيث طرحت نقاشات عديدة بين الفلاسفة وعلماء الكلام حولها، كالغزالي وابن رشد عليها حيث رفع الغزالي من شأن النقل على العقل، كما وفق إبن رشد بينهما وفي خضم هذه الطروحات صاغت رسائل النور هذه العلاقة بصورة محددة ودقيقة فإذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلاً ويؤول النقل، ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلاً حقاً.[١٦]

فلا يتأسس العقل إلا عن طريق النقل، حتى يكتمل نقصه حيث يوضح سعيد النورسي التراتبية في الدماغ يتم التخيل أولاً ومن ثم التصور وبعده يأتي التعقل. يربط النورسي التصديق والتوصل إلى الإيمان والإعتقاد بشرط التعقل، يعني استخدام العقل والتفكر والتحقيق شرط للوصول إلى التصديق، حيث يرى أن الإعتقاد من دون تعقل تعصب.[١٧]

يظهر تشجيع الإستخدام العقلي في الرسائل، بما ويتفق مع مواقف وضع فيها النورسي تفسيراً عقلياً للقرآن الكريم كأساس، حيث يعتمد العقل في التفسير عندما يتعارض مع النقل ويؤول النقل.[١٨]

في سياق النظر التأويلي للقرآن الكريم، فإن النورسي قد بحث في كيفية تحكيم التأويل عن طريق العقل أو النقل خصوصاً في الآيات حمّالة الأوجه وتحتمل تأويلات عدة فقد أسس مبدأ تأسيس النقل على العقل، بحيث أن النقل يؤول على مقتضى العقل متى ظهر تعارضه معه، أما الثاني فهو مبدأ التوسل بالعقل في النقل أي أن المفاهيم العقلية قد تكون وسائط في بيان الحقائق النقلية.[١٩]

بهذا، يصير النقل –ممثَّلا بحكمة القرآن– هو الأصلَ، والعقلُ ممثَّلا بفلسفة البشر هو الفرع متى ثبتت موافقته لما جاء به النقل؛ لذا جاز أن نسمي التفريق –أو الفصل– في الدرجة بين الحكمة والفلسفة الذي قابل به النورسي الوصل التداخلي بينهما باسم "التفريق – أو الفصل — الاستتباعي"، حيث إن الفلسفة تصبح تابعة للحكمة وخادمة لها.[٢٠]

المحاكمات العقلية التي قدمها النورسي للبرهنة على القضايا

احتوت رسائل النور منهجية عقلية للبرهنة على القضايا التأويلية التي طرحتها وللرد على المخالفين للقضايا الإيمانية، حيث شكلت محاكمات عقلية منتظمة، كانت موجهة جوهرياً إلى البحث عن الحقيقة حيث وضح النورسي من خلالها

[١٦] أنظر: النورسي، سعيد، صيقل الإسلام، ص ٣٦.

[١٧] أنظر: النورسي، سعيد، الكلمات، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ص ٨٤٨.

[١٨] أنظر: كوموش، صدر الدين، التأويل في رسائل النور، ترجمة، جميل شانلي، من أعمال المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي، اسطنبول، ٢٠٠٠، ص ٣٣٥.

[١٩] أنظر: عبد الرحمن، طه، فصل المقال مابين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الإنفصال عند الحكيم بديع الزمان، ص ٥٩.

[٢٠] أنظر: عبد الرحمن، طه، فصل المقال مابين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الإنفصال عند الحكيم بديع الزمان، مجلة حراء العدد ٣، ٢٠٠٦، ص ١٥.

على أن "توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء والحث عليها والتنبيه إليها، من حيث أن كل فرد منها نموذج لحقيقة من الحقائق."[٢١]

وفي علاقة دخول المحاكمات ودورها في توضيح إيجابية الفلسفة، تظهر الفكرة من خلال أن الرسائل قد فسرت بدقة شكل الفلسفة الضارة وحكمتها الباعثة على الإنكار بمنحى عريض وواسع، في حين أن الفلسفة النافعة تلك هي الخادمة للقرآن والشريعة، وعلى إعتبار أن الفلسفة تشكل موقفاً اتجاه العالم والقضايا بالاستناد إلى فروعها المنطقية والأخلاقية والجمالية، وكذلك منهجية المحاكمة العقلية للوصول إلى النتائج نجد أن الداعي التنويري للرسائل لم يهمش الاستخدام العقلي سواء.

١-في المحاكمات العقلية في الرد على المشككين

٢-إبراز حقيقة العقيدة والنصوص الشرعية

حيث يؤكد سعيد النورسي على حيادية واضحة من ناحية نظرته إلى الفلسفة ويقول: "نعم، أقول الحكمة (الفلسفة) لأنها خير كثير مع تضمنها الشر إلا أنها شر جزئي، ومن الأصول المسلمة إنه يلزم اختيار أهون الشرين، اذا ما ترك فيه خير كثير لأجل شر جزئي فيه، يعني القيام بشر كثير."[٢٢]

وفي الرد على الشبهات، فقد سلك النورسي مسلكاً منطقياً، بما ويتفق مع ماهية العقيدة والنص القرآني، فالنص يحتمل عدة تأويلات إلا أن ماهيته مثقلة بالحكمة والحقيقة، وموزونة بها وتمضي إلى الحق وهي حق.

ويُلحظ في هذا السياق النقود التي وجهها النورسي إلى التطرف العقلي والإعلاء من شأنه على حساب النص والحقائق الإيمانية، إلا أن المرونة كانت حاضرة في التعاطي مع مقتضيات زمنه وعصره، حيث أنه لم يتقلد قطب واحد في الردود بل عبّر عن منهجه في ذلك بالقول "فنحن أبناء الحالة الحاضرة والمرشحون للمستقبل لا يشبع أذهاننا تصوير المدعي وتزيينه بل نطلب البرهان."[٢٣]

وينسجم طرح بديع الزمان من خلال محاكماته لعقلية التي قدمها مع جوهرية القرآن الكريم التي تشجع على العقل من خلال ماهية القضايا المتضمنة خلاله من جهة تأثيرها على التعاطي مع الحقائق حيث يدلل "إن عقلي قد يرافق قلبي في سيره، فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل فيبرزه العقل على عادته في صورة البرهان التمثيلي ومن تلك الحقائق إن الفاطر الحكيم كما أنه بعيد بلا نهاية، كذلك قريب بلا غاية."[٢٤]

وفي دلالة مفهوم الفلسفة القرآنية التي اتضحت في الرسائل، يشير بديع الزمان إليه قائلاً "نحن معشر المسلمين خدّام القرآن، نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان، لسنا كمن ترك التقلّد بالبرهان تقليداً للرهبان كما هو دأب اتباع سائر الأديان."[٢٥]

---

[٢١] النورسي، سعيد، صيقل الإسلام، ص ٣٠.

[٢٢] النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤١.

[٢٣] النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٠.

[٢٤] النورسي، سعيد، المثنوي العربي النوري، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٢، ص ٤٠٣.

[٢٥] النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.

بلورة النقد

يمثل النقد جزءاً هاماً من معايير التجديد والتغيير والبناء، وقد تم تطبيقه في رسائل النور كلمحة توجيهية إلى حال الواقع والمجتمع الإنساني الحق كما ويتفق مع القرآن الكريم "ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا."[٢٦]

أما التعليم فجاء من أجل نشر رسالة من وراء النقد، توضح أن ماهية رفض ما هو مخالف ليست لدافع الإنكار السلبي والعداء وإنما من أجل استسقاء كل ما هو نافع وأخذ من كل شيء أحسنه، ومن خلال التعرض لمثال نقد النورسي لأوروبا من ناحية الأخذ بمبدأ البعد الثنائي لها أي وصفها بأوروبا النافعة والضارة، فإن النقد في ذلك السياق جاء بمثابة توضيح لشكل تمثيل مستنير لرؤيته للغرب بوصفه أنتج مشروعاً تعليمياً ومنهجياً لنموذج لتقديم الإسلام للغرب، فالنقد في ذلك المحل شكّل نقداً بنائياً بالتعرض للفلسفة "المادية" للوصول إلى قواعد تجديد صادق وإعادة بناء عالم إسلامي.[٢٧]

وتجدر الإشارة إلى الحالة النقدية التي سيّرها بديع الزمان نحو ذاته، فنقد الذات يمثل دلالة قوية وحاضرة على الوعي بمواطن القوة والضعف من جهة، وبلوغ المنحى التجديدي من جهة أخرى، فرحلة سعيد القديم المثقلة بالفلسفة والعلوم العقلية شهدت طريقاً طويلا من رحلته في البحث والتفكر – وإن أعجبته – ما لبث وانقلب عليها وهذه الدفعة النقدية جعلته يقيم نظرة حول الأدوات المعرفية التي أراد بها اكمال مشروعه، إتجاه تلك الرحلة التي وثقها من خلال سيرته الذاتية قائلاً "إني ما أدري كيف صار عقلي ممزوجاً بقلبي، فصرت خارجاً عن طريق أهل العقل من علماء السلف وعن سبيل أهل القلب من الصالحين، فإن وافقتهما فبها ونعمت وإن خالفت في كلامي أي السبيلين منهما فهو مردود علي."[٢٨]

وبالإشارة إلى منحى نقد النورسي لنفسه هو "إبراز البعد الفلسفي فيه"، حيث يعتبر النقد تمثلا للوعي بحدود العقل وإمكانياته وتطرق معرفي إزاء العلم الخارجي والواقع، ومن خلال تجربة سعيد النورسي للنقد الذاتي يبرز الوجه البرهاني لنقد ذاته القديمة، وما آلت إليه من صورة تحديثية وتربوية مكتملة بالرسائل، وكذلك إبراز الدقة في تحديد الأدوات المعرفية المساندة لتجربته المعرفية، وإن هذا يدعوا لبيان موطن الفلسفة النافعة بوصفها فعل وممارسة عقلية بمثابة حوار داخلي بأثر خارجي.

من خلال رسائل النور يُلحظ أن النقد الذي وجهه لشكل الواقع المتغير الذي عاش فيه من خلال المفاهيم والممارسات والمبادئ والأفكار؛ فالنقد لم يكن موجه لأجل النقد والرفض، وإنما هو نقد للبناء بصورة المحافظة على التراث من جهة وبصورة التعليم الخلاّق من جهة أخرى، فالمحافظة كانت لداعي التصدي لكل ما يمكن أن يؤذي المنظومة الإيمانية بشيء من الضلال.

المبحث الثالث: فلسفة الأخلاق كنموذج إيجابي للفلسفة في رسائل النور

استناداً للبحث في الرسائل وبعد التدقيق في ثنائية الفلسفة الضارة والنافعة لابد من استنطاق المنحى الإيجابي للفلسفة والتي وجدت مابين السطور، أكثر من ظهورها بشكل مرئي، على الرغم من النقد الذي انتظم للفلسفة الضارة، كان لابد

[٢٦] القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية رقم ٣٢.

[٢٧] أبو ربيع، إبراهيم، الإسلام على مفترق الطرق رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة محمد فاضل، القاهرة، دار سوزلر للنشر ٢٠٠٥، ص ١٣٨.

[٢٨] النورسي، سعيد، سيرة ذاتية، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٠، ص ١٦٨.

من سبيل الإجابة على السؤال: هل جاء النورسي بأفكار فلسفية جديدة من دون قصد؟ الإجابة هي نعم حيث تتبلور وتختزل إيجابية الفلسفة في رسائل النور من خلال"فلسفة الأخلاق" والتي تعتبر فرعاً أساسياً من فروع الفلسفة، ومن خلال الأدوات المعرفية التي اعتمدتها الرسائل في البحث في القرآن الكريم وقضايا الوجود ككل تبين أن هناك فرقاً ما بين ممارسة الفلسفة كمنهجية والإشارة إليها كمفهوم، فتدليل النورسي على الفلسفة بالإشارة إليها مباشرة على أنها ضارة بشقها المادي والوضعي يختلف عن اعتماد منهجها المنطقي والعقلي للبرهنة وتشكيل المواقف الدفاعية أمام المشككين، وهذا الإعتماد لابد من توضيحه كنقطة توضيحية للمقصود بإيجابية الفلسفة في الرسائل:

فلسفة الأخلاق:

للأخلاق فرعاً مهماً وأساسياً من فروع الفلسفة، حيث تشكل جزئية من بناء المذهب الفلسفي، وتمثلات مختلفة ما بين الأخلاق النفعية والأخلاق المثالية و إن ما طرح عبر تاريخ الفلسفة من فلسفات أخلاقية، شكّل أسئلة متعلقة بالفعل الأخلاقي والحكم و اتخاذ القرار، من جهة وعلاقة الأخلاق بالدين والمجتمع من جهة أخرى، ويستطيع المتطلع على رسائل النور أن يلحظ ظهوراً للأخلاق في الرسائل، كمنظومة تتوجه بأهدافها القيمية نحو منحيين:

أولاً: المفاهيم الأخلاقية

أبرز المفاهيم الأخلاقية المؤصلة هما مفهوم الخير والشر وقد وجدت الفلسفة توجهات حول تلك المفاهيم وأصل نسبيتها أو مطلقيتها، فبنظرة إلى الأخلاق المثالية فقد تمثلت بمفاهيم أخلاقية مطلقة أما في التجربة النفعية كمذهب أخلاقي، فإن المفاهيم وجدت نسبية حيث أن الفلاسفة قد درّجوا على تصور الأخلاق بصورة العلم المعياري الذي يحدد لنا سلوكنا الفاضل أو ما ينبغي علينا أن نكون.[٢٩]

أما تجربة الكلاميين في طرح الأسئلة المتعلقة بأصل الشر في العالم، ومفهوم الخير اعتماداً على مقايسة نسبيتها ومطلقيتها، فيما يتعلق كلا المفهومين بالأفعال الإنسانية، أو الأفعال الإلهية، فقد شكلت المفاهيم في هذا السياق محل طروحات عدّة ومقاربات منطقية ونقلية.

بالإشارة إلى الممارسات الفلسفية في تلك المفاهيم، فإن تجربة النورسي كانت واضحة من خلال الموازنة ما بين التعليل العقلي والتدليل القرآني، ويشير إلى أن صفتي الخير والشر منطبقتين على مقولتي الوجود والعدم، حيث أن الوجود خير محض والعدم شر محض ويقول "نعم، إن الخير والمحاسن والكملات – بأكثريتها المطلقة – تستند إلى الوجود وتعود إليه، فأساسها إيجابي ووجودي، أي ذو أصالة وفاعلية، وإن بدت ظاهراً سلبية."[٣٠]

"بملمح فلسفي" ممكن القول أن سعيد النورسي عمل على تأويل مقولة الشر من خلال مقايستها مع المعتزلة اعتماداً على مفهوم التنزيه الذي يعتبر من الأصول الخمسة عندهم حيث قال "إن خلق الشر ليس شراً وإنما كسب الشر شر، لأن

[٢٩] أنظر: إبراهيم زكريا، المشكلة الخلقية، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٦٧، ص ١٣.

[٣٠] النورسي، سعيد، اللمعات، إعداد وتقديم، إحسان الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٣، ص ١١٣.

الخلق والإيجاد ينظر إليه من حيث النتائج العامة، فوجود شر واحد، إن كان مقدمة لنتائج خيرة كثيرة، فإن إيجاده يصبح خيراً باعتبار نتائجه؛ أي يدخل في حكم الخير."[٣١]

بهذا المعنى لا تختزل مفاهيم الخير والشر ضمن قطب واحد، وإنما يدخل المفهوم ضمن سلسلة من الأسباب التي تؤول حدوثه وتأصيله وبهذا المنحى، يشكل النورسي فلسفته في الأخلاق من ناحية التتبع المنطقي لكلا المفهومين لبناء النسق الأخلاقي المصاحب لمبادئ الإيمان.

كما طرح مفهومه المتعلق بوجود الشر في العالم من خلال أسلوب حواري بُني على الأسئلة، كالسؤال المتعلق بحكمة خلق الشر في العالم، فإن صياغته لها جاءت صياغة فلسفية ومنطقية عبّر عنها من خلال اعتبار الخير في الكائنات هي في الكليات وأن الشر يعتبر نقصان وجزئية ويشير إلى ذلك بارتباط معرفة الأضداد بالمقايسة إلى سبيل معرفة الحقائق ويقول "يمكن أن يعرف كل شيء من جهة بضده، بوجود الضد يمكن أن تثمر حقيقة واحدة حقائق عدة."[٣٢]

وبنظرته إلى العالم، فإن سعيد النورسي يبرهن على جزئية الشر في العالم حيث يقول:

"وإن الشر والقبح والنقصان جزئيات بالنسبة إليها قليلة تبعية مغمورة في الخلقة، خلقها خالقها منتشرة بين الحسن والكمال لا لذاتها بل تكون مقدمة وواحداً قياسياً، لظهور – بل لوجود – الحقائق النسبية للخير والكمال."[٣٣]

حيث تمثل حكمة الشر ضرورة وجودية أمام الذات المفكرة والباحثة عن المعرفة والحقيقة وإن تلك المقولة تشكل قطب يثير الانتباه إلى العالم، فالعلوم بفروعها دللت على كمال النظام الكوني بكل متعلقاته، لتبقى مقولة الشر محل بحث ومقايسة لاكتشاف حكمة وجودها، ودلل سعيد النورسي على أن الشر خُلق ليكون وسيلة لإظهار أنواع الخير والجمال الكليين، ويعبّر عن ذلك من خلال الإشارة إلى إستعمال القياس المنطقي "الإستقراء التام" فالشر والقبح والباطل والسيئات جزئي وتبعي وثانوي في خلقة الكون."[٣٤]

ثانياً: الفعل الأخلاقي

طرحت رسائل النور أبعاد الفعل الأخلاقي المبني على المبادئ والمفاهيم المستمدة من القرآن الكريم وانعكاس نتائج الفعل الأخلاقي الضار على المجتمع الإنساني، حيث يتم الفعل الأخلاقي بالاعتماد على الشعور أو الغريزة البشرية بالإضافة إلى الفطرة البشرية التي تملك استعداداً غير محدود للمحبة تجاه الإحسان والجمال والكمال، أما عن تمثل التعليل العقلي للفعل الأخلاقي فيكون من خلال وجود "الأنا" ومواقفها اتجاه "العالم والآخر ونفسها" في محاولة تشكيل الإجابة حول ما يجب وما لا يجب . فالفعل الأخلاقي يمارس ضمن الباعث الموضوعي الذي يعطي للأنا مقاربة ما بين الفعل ونتائجه، فصياغة الفعل الأخلاقي يتمثل ضمن دائرة المجتمع، ممكن استنتاج صياغة الفعل الأخلاقي متصلاً بسياقين:

أ. الأنا وعلاقته بذاتها حيث يظهر فيها صياغة مفهوم المصير والخلاص

---

[٣١] النورسي، اللمعات، ص ١١٢.

[٣٢] النورسي، سعيد، الشعاعات، إعداد وتقديم، إحسان الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ١٩٩٣، ص ٢٩٠.

[٣٣] النورسي، سعيد، إشارات الإعجاز، إعداد وتقديم، إحسان الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٢، ص ٣٥.

[٣٤] النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٠٢.

إن علاقة الأنا مع ذاتها تفتح مجالاً لتفسير شكل هذه العلاقة، فضمير الأنا المتفرد، لا يكف عن وظيفة الانتباه للفعل ومطابقته مع المبدأ الذي يقوم عليه، وفي هذه العلاقة يُدخل بديع الزمان تأويله المتعلق بحاجة الأنا لوصل علاقته بالله عن طريق "الدعاء" الذي يوصف بأنه "أكثر الانعكاسات الإيمانية للحالة البشرية بما يشوبها من المحدوديات والتوترات والمآسي في الحياة."[٣٥]

فالمخاطبة الحاصلة ما بين الأنا والخالق، تقلب إحدى صفات الروح التي يتحدث عنها بديع الزمان، وهي الأنانية أو الانعطاف على الذات الذي يصبح في أكثر الأوقات عائقاً يواجه الإنسان، فمن المفيد أن يحافظ على هذه العلاقة التحاورية مع الله[٣٦].

وهناك إشارة الى المساحة التي تفتح أمام الذات في وعيه بذاته من حيث إمكانياته وقدراته والتي تظهر بعلاقة الإتصال أي الدعاء، ففي هذا الطرح فكرة:

معرفة حدود الأنا وقدرتها، وهذه المعرفة تقوي الفعل الأخلاقي الإيجابي من حيث الإلتزام بالحدود والواجب الملزم فالمعرفة متأتية من علاقة الأنا بالله والوصل، وهذه جوهرية الإيمان القلبي المشبع باليقين العقلي كذلك، من خلال هذا تدرك الأنا مسيرتها حول السؤال الأخلاقي ماذا أفعل ؟ وقد عرّف النورسي مفهوم الأنا وحضورها في الوجود للدالة على أهميتها قائلاً:

"إعلم ! أن مفتاح العالم بيد الإنسان، وفي نفسه، فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب ظاهراً إلاّ أنها منغلقة حقيقةً فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحاً يفتح كل أبواب العالم، وطلسماً يفتح به الكنوز المخفية لخلاّق الكون، والمفتاح هو ما فيك من "أنا" إلا أن "أنا" ايضاً معنى مغلق وطلسم منغلق فإذا فتحت "أنا" بمعرفة ماهيته الموهومة وسر خلقته انفتح لكل طلسم الكائنات."[٣٧]

فالأنا الموجودة تملك مسؤولية الوعي بذاتها ودواخلها، وعلاقتها مع الله من جهة أخرى، والذي يفتح لها أبعاد فهم مصيرها وخلاصها فهي مدركة وواعية بأنها محور مؤثر في منظومتها الأخلاقية ومن خلال هذا التأويل يمكن القول بإمكانية نظام فكر يؤسس مساحات فلسفة الميتافيزيقيا وفلسفة الطبيعة ونظرية المعرفة والأخلاق.[٣٨]

ومن حيث المقاربة ما بين مفهوم الخلاص وعلاقته بشكل الفعل الأخلاقي فإن النورسي يصيغ هذه المقاربة من خلال الرغبة في الخلاص عند الإنسان المتأتية من شعوره بالإثم، وهذا الشعور غالباً ما يؤطر أفعاله ضمن حالة أخلاقية فاضلة، فالشعور بالإثم يعتبر كموّجه للفعل الأخلاقي، وهو إنعكاس تطبيقي لأسباب القيام به، على اعتباره محاكمة فردية بين الذات ونفسها، وحالة نقدية للممارسة العملية وأثرها على المجتمع.

---

[٣٥] ألن موشر، لوسيندا، مخ العبادة والرؤية الاخلاقية :سعيد النورسي والدعاء، من كتاب: قضايا معاصرة في فكر الإمام بديع الزمان سعيدالنورسي، لـ حجازي سامي ، السايح أحمد، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٥، ص ٢٢٥.

[٣٦] أنظر: موشر، مخ العبادة والرؤية الأخلاقية: سعيد النورسي والدعاء، ص ٢٢٢.

[٣٧] النورسي، الكلمات، ص ٦٣٥.

[٣٨] أنظر: أوغلو، إسماعيل، مفهوم أنا من نظرة بديع الزمان إلى الفلسفة، من أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي، إسطنبول ١٩٩٥، ص ٥٧٣.

ب. الأنا وعلاقتها بالآخر حيث يظهر فيها مفهوم التسامح والإختلاف

يستنتج من الرسائل علاقة الأنا مع الآخر ضمن إطار الأخلاق الاجتماعية، فخصوصية هذه الأخلاق أنها غير متفردة بفئة معينة وإنما هناك مساحة من الاختلاف، فالذات التي تشكل موقفها اتجاه الآخر المختلف عنها والمتشابه معها تصيغ فعلها الأخلاقي ومبادئها، وبهذا الجانب يضع لنورسي مفهوم الفضيلة ضمن دائرة فعل الديمومة المستمرة المعتمدة على العادة والتجربة في ممارسة العمل.

والنظرة الفلسفية لمفهوم الفضيلة التي تختزل بالسعادة كما بينها الفيلسوف الاغريقي أرسطو، أو بالمعرفة كما وردت عند أفلاطون ظهرت لتتم في الحياة الاجتماعية بوصفها فضيلة معتمدة على الإرادة أي استعداد أداء الفعل، والثبات بحيث المداومة عليها دون انقطاع، حيث الفضيلة مختلفة بإختلاف طبقات المجتمع إذن فإن المجتمع الفاضل هو المجتمع العادل الذي تتحدد فيه جميع الفضائل الإنسانية في وزن واحد من الإنسان.[٣٩]

تتمثل الفضائل الأخلاقية بجوهرية الإيمان حسب تعبير النورسي، فالفضاء الإنساني المحكوم بالعلاقات والمصالح النافعة والمتبادلة، منظمة بحيث يكون لها صلة بالمبادئ والتشريعات المصاغة من قبل القوانين المتفقة مع الإيمان حيث إن الفضيلة مختزلة وما تلبث أن تنكشف من خلال الإحترام المتبادل والإحسان.

من باب كسب الأثر الفردي لا تقيم الأنا علاقة المصلحة النفعية، وإنما تتوحد مع الآخر في علاقة واحدة ضمن إطار الإيمان ومقولة الحب والروابط، فالآخر يعبر عن وجوده الإيجابي بالنسبة للأنا حيث أنه يبادل علاقة المحبة والروابط الإنسانية، فالإيمان بعقيدة واحدة تستدعي قلبا واحدا ووحدة العقيدة التي تقتضيها وحدة المجتمع.[٤٠]

وإن الفضيلة الأخلاقية تكتمل في معنى تبادل العلاقات والممارسة النفعية التي يفرضها واقع الحياة، حيث إن وحدة المجتمع تشكل فضاءً عريضاً من الوجود الإنساني المختلف، من حيث مفهوم الإختلاف الذي يفرز جمع من المفاهيم المتعلقة به مثل الفرقة، التحزب، الإعتداد بالرأي، التسامح، الوحدة و الإتفاق والتي تحتاج إلى توليف قاعدي يبين معنى تعدد تلك المفاهيم ومدى تأثيرها على وعي الفرد "الأنا" كفرد إجتماعي، وهذا يفسر المبدأ الإسلامي الأصيل في رؤية الإختلاف والتسامح "إختلاف أمتي رحمة."[٤١]

ومن حيث البناء الفلسفي فإن مفهوم الإختلاف تجلى بأكثر من طرح فكري ومنهجي في الفلسفة الإجتماعية والأخلاقية، وتصاحب مع مفهوم التسامح في ضوء التعددية المختلفة في أوروبا ، وبالاستطاعة المقاربة ما بين طرح بديع الزمان عن التسامح وربطه كقيمة أخلاقية مهمة للمجتمعات بمبدأ الدين بطرح الفيلسوف الفرنسي "جون لوك"[٤٢] الذي طرح مفهوم التسامح من حيث ارتباطه المتسق مع العهد الجديد الذي أتى به السيد المسيح والذي يتفق مع مقتضيات العقل الحق فالفطرة البشرية تدرك وضوح ضرورة التسامح مع الآخر.

---

[٣٩] أنظر: حجازي سامي، السايح أحمد، قضايا معاصرة في فكر الامام بديع الزمان سعيدالنورسي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، ٢٠٠٥، ص ١٦.

[٤٠] أنظر: حجازي، والسايح، قضايا معاصرة في فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص ٤٥.

[٤١] حجازي والسايح، قضايا معاصرة في فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ص ٣٤٦.

[٤٢] جون لوك John Locke(١٦٣٢-١٧٠٤) فيلسوف فرنسي وهو من الفلاسفة التجريبين وهو أحد مؤسسي المذهب الحري الجديد ونظرية العقد الإجتماعي، راجع: كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٢، ص ١٥٧.

بالتالي فإن مفهوم التسامح يشكل تضمينا لمفهوم الإختلاف الإيجابي الذي يخدم الشأن الإنساني العام بالإتفاق مع نسق متكامل من النموذج المعرفي والسياسي، وبهذا المحل يشكل هذا النموذج التاريخي مقاربة مع النزرسي الذي ردّ مفهوم الإختلاف في تأصيل ثنائي ما بين السلبي والإيجابي مفصّلاً إن عملية تأويل الفعل الأخلاقي اتجاه الآخر من شأنه أن يكون مرده إلى سؤال ماذا يعني الآخر بالنسبة للأنا.

فالإختلاف الإيجابي "أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه إظهار صحة وجهته وصواب نظرته دون هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسالكهم."[٤٣] تظهر الرؤية التطبيقية لمبدأ التسامح المبني على التأويل القرآني ومنظوره لعلاقة الأنا والآخر المفاهيم بدلالة القول "لابد أن يكون هو حق بدلاً من هو الحق و هو حسن بدلاً من هو الحسن، إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه أن هذا حق ولا أعترض ما عداه بينما لا يحق له القول في مذهبه أن هذا هو الحق وما عداه باطل وما عندي هو الحسن فحسب وغيره قبيح وخطأ"[٤٤]

فالأنا المؤطرة لمذهبها وقوميتها لا يسعها في دائرتها وجود الآخر المختلف عنها، حتى لو كان ضمن دائرة الدين الواحد بإختلاف المذهب المتعدد، وبالإعتماد على ماهية البيئة الحاضنة لتلك الأنا وظروفها التاريخية والمدنية، فإن تمثل هذا الشكل للأنا ودائرتها المتعصبة الخاصة كان موجوداً في مجتمع ما قبل الاسلام، إلا أن الإسلام سعى إلى تشكيل نموذج وحدة التعدديات والأقليات ضمن وحدة واحدة تعتبر "قدرة" كما وصفها النورسي "إن القدرة تتجلى في جمع الأضداد."[٤٥]

الخاتمة

نستخلص تحقيق ممارسة فلسفية إيجابية أخلاقية وإجتماعية من خلال الرسائل، حيث تمت المقاربة ما بين التأويل القرآني والقضية المذهبية بوصف الإسلام سلطة القانون الموحدة للتعددية المذهبية وفي مقاربة فلسفية أخرى فإن التجربة الأوروبية الإيجابية في هذه القضية كانت حاضرة من خلال التاريخ و تجلي حركة التنوير في أوروبا والتي بني أساسها على المبادئ الفلسفية استطاعات أن تنعكس على شكل المجتمع المكوّن من علاقة الأنا والآخر ضمن إطار الوعي بالقانون أي من خلال تجربة "العقد الإجتماعي" الموحدة للتعدد والأقليات، والوعي بمنظومة المبادئ الأخلاقية المشكّلة للشخصية الفردية الإجتماعية.

من خلال محاولة البحث واختزالها ضمن هذه الدراسة، حاولتُ بيان إمكانية أن يكون للفلسفة شأن إيجابي في رسائل النور، وإن الهدف من كل هذا ليس لمجرد مقاربة سعيد النورسي أو حتى الإنتماء إلى رسائل النور بتطرف وإعتبارها مرجع معرفي وحيد، إن ما يمكن أن يدفع أي باحث في المعرفة، هو الفضول للبحث والإكتشاف، وأن أي موضوع أو قضية بحثية لا تقف عائقاً ضد السؤال المعرفي الذي يدفع صاحبه لأن يتجه نحو النتاج المعرفي البشري أيّاً كان شكله.

وبالنسبة لرسائل النور، وعلى الرغم من التداعي الأول حولها أنها الأكثر رفضاً للفلسفة، فقد كانت دافعاً للبحث فيها وتخطي حدودها، للكشف عما إذا كانت تعمم رفضها للفلسفة بشكل مطلق، ومن خلال القراءة والبحث، تم التوصل

[٤٣] لوك، رسالة في التسامح، ص ٣٤٧.

[٤٤] النورسي، الكلمات، ص ٨٦٣.

[٤٥] النورسي، الكلمات، ص ٨٦٤.

عبر التدرجية التي طرحتها الدراسة أن الرسائل لا ترفض الفلسفة برمتها، وأن ما تم عرضه في هذه الدراسة هو بمثابة إجابة للسؤال الأكثر إلحاحاً حول موقع الفلسفة في منظومة فكرية حضرت في التاريخ الفكري عبر سعيد النورسي، وهو ذاته السؤال المتعلق بموقع الفلسفة في أي منظومة فكرية أخرى.

حضرت الفلسفة من خلال نفعها الواقعي والمجرد في رسائل النور، بوصفها مرجعاً يدافع عن نفسه في بعض المواضع وينقد نفسه في مواضع أخرى، وهذا ما جعل رسائل النور محفزة لإخضاعها للبحث والوصول إلى الفلسفة من خلالها، وبالنتيجة ممكن القول أن تجربة البحث كانت قيّمة للغاية، من خلال طرح الأسئلة ومحاولة الفهم لغاية تحقيق ما هو أكثر دقة في مجال الإنتاج الفكري الإنساني. ممكن القول أن النورسي سواء – عن قصد أو من دون قصد– حقق إيجابية الفلسفة التي لم تتمثل بالرسائل بالتعريف بماهيتها النافعة وحسب إنها فوق كل ذلك تحققت في الممارسة والسؤال والتحليل والنقد.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، زكريا، المشكلة الخلقية، دار مصر للطباعة، ط٣، القاهرة ١٩٦٧.
- أبو ربيع، ابراهيم الاسلام على مفترق الطرق رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة محمد فاضل، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠٠٥.
- أوغلو، إسماعيل، مفهوم أنا من نظرة بديع الزمان إلى الفلسفة، من أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي، اسطنبول ١٩٩٥، http://iikv.org/ar/books/academic/3.smp.pdf، (تاريخ الوصول: ٢٠١٧.٠٧.١٥).
- حجازي سامي، السايح أحمد، قضايا معاصرة في فكر الامام بديع الزمان سعيدالنورسي، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠٠٥.
- دولوز جيل، غيتاري فيلكس، ماهي الفلسفة، ترجمة مطاع الصفدي، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٧.
- عبد الرحمن، طه، فصل المقال مابين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الإنفصال عند الحكيم بديع الزمان، مجلة حراء، العدد ٢٠٠٦، ٣،٤، http://hiragate.com/archive-pdf، (تاريخ الوصول: ٢٠١٦.٠٥.١٩).
- عبد الحميد، محسن، من معالم التجديد عند النورسي، دار سوزلر، دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠٠٢.
- عبد الحميد، محسن، النورسي متكلم العصر الحديث، دار سوزلر، القاهرة ١٩٩٤.
- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ١٩٩٧.
- كوموش، صدر الدين ،التأويل في رسائل النور، من أعمال المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان نحو فهم عصري للقرآن الكريم: رسائل النور أنموذجاً، اسطنبول ١٩٩٨.
- لوك، جون، رسالة في التسامح، ترجمة : منى أبو سنة، مراجعة : مراد وهبة، القاهرة، دار المجلس الأعلى للثقافة ط١، ١٩٩٧.
- مقبول، إدريس، العقل المؤيد بالإيمان أو اتصال الآيات والقيم، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد ٩، كانون الثاني، ٢٠١٤، http://dergipark.ulakbim.gov.tr/alnur/article/view/5000090540، (تاريخ الوصول: ٢٠١٧.٠٧.٠٩).
- النورسي، سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٣، القاهرة ٢٠٠٢.
- _____، سيرة ذاتية، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٣، القاهرة ٢٠٠٠.
- _____، الشعاعات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٢، القاهرة ١٩٩٣.
- _____، صيقل الإسلام، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٣، القاهرة ٢٠٠٢.
- _____، الكلمات ترجمة، احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٣، القاهرة ٢٠٠٠.
- _____، اللمعات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٣، القاهرة ٢٠٠٣.
- _____، المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٣، القاهرة ٢٠٠١.
- _____، الملاحق، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٣، القاهرة ١٩٩٩.
- _____، المثنوي العربي النوري، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٣، القاهرة ٢٠٠٢.